إصدارات مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي - الجزائر

بحوث الملتقى الدولي الثامن

جهود علماء الغرب الإسلامي في تنزيل النص القرآني على الواقع

بتاريخ: 22و21 ربيع الثاني 1444هـ / الموافق لـ 15 و16 نوفمبر 2022

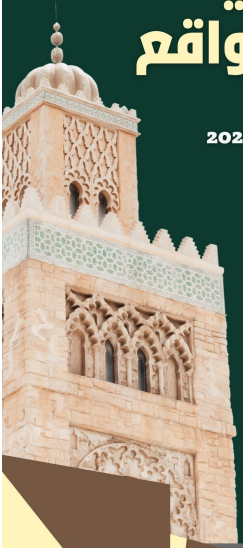

تنزيل الآيات على الواقع عند الشيخ أحمد سحنون
من خلال كتابه: " دراسات وتوجيهات إسلامية "

د/ مختار قديري
قسم أصول الدين– معهد العلوم الإسلامية – جامعة الوادي
Guediri-mokhtar@univ-eloued.dz

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص

يتناول هذا البحث الموسوم بـ: " تنزيل الآيات على الواقع عند الشيخ أحمد سحنون من خلال كتابه: دراسات وتوجيهات إسلامية" بيان معالم منهج الشيخ أحمد سحنون في تنزيل الآيات على واقع أهل زمانه، وذلك من خلال طرح الإشكال الرئيس: ما هي أهم معالم منهج الشيخ أحمد سحنون في تنزيل الآيات على الواقع من خلال كتابه "توجيهات ودراسات إسلامية"؟

وللإجابة على هذا الإشكال قسّمت هذا البحث إلى ثلاثة مباحث: تناولتُ في الأوّل ترجمة موجزة للشيخ أحمد سحنون، وبعض صيغ الشيخ الدالة على تنزيل الآيات على الواقع، والثاني: بينت فيه أساليب ومعالم منهج الشيخ أحمد سحنون في تنزيل الآيات على الواقع، وجعلت الثالث لبيان مجالات وضوابط الإسقاط على الواقع عند الشيخ أحمد سحنون.

ومن أهم النتائج التي خلصت إليها هذه الدراسة: تنوع مجالات إسقاط الآيات على الواقع عند الشيخ أحمد سحنون، بين: المجال العقدي والتعبدي، المجال السياسي والفكري، والمجال الاجتماعي والسلوكي، ومن أهم التوصيات: دعوة الباحثين إلى جمع تنزيلات الشيخ أحمد سحنون من مختلف الصحف والمجلات ودراستها.

الكلمات المفتاحيّة: تنزيل الآيات؛ الواقع؛ أحمد سحنون؛ دراسات وتوجيهات إسلامية.

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين والصَّلاة والسَّلام على أشرف المرسلين، سيِّدنا ونبيِّنا محمّدٍ وعلى آله الطيّبين الطَّاهرين، وعلى صحابته الغُرِّ الميامين، وعلى تابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

أمَّا بعدُ:

فيُعدّ تنزيل الآيات على الواقع من أهم الآليات لفهم معاني آيات الله، ومواكبة الحوادث والنوازل التي تطرأ في حياة الناس في مختلف المجالات، لذلك عُني علماء جمعية العلماء المسلمين بعلاج قضايا الأمّة من خلال استغلال مختلف المناسبات، لتنزيل الآيات على الواقع، وربط الناس بالقرآن الكريم، ومن هؤلاء الشيخ أحمد سحنون الذي كان له دور كبير في الحركة الإصلاحية في الجزائر إبان الفترة الاستعمارية، خاصة من خلال كتاباته في جرائد الجمعية؛ كالبصائر والشهاب.

ورغم القيمة العلمية لتنزيلات الشيخ أحمد سحنون على الواقع من خلال كتابه "توجهات ودراسات إسلامية"، إلا أن الكثيرين يجهلونه ويجهلون جهوده ومعالم منهجه في تنزيل الآيات على الواقع، لذا أردنا من خلال هذا البحث طرح الإشكال الرئيس الآتي: ما هي أهم معالم منهج الشيخ أحمد سحنون في تنزيل الآيات على الواقع من خلال كتابه "توجهات ودراسات إسلامية"؟

وتكمن أهمية هذا البحث في:

- التعريف بعلم من أعلام الجزائر قضى عمره في الإصلاح والدعوة والإرشاد.
- تنزيل الآيات على الواقع أسهمت بشكل كبير في فهم معاني كلام الله.
- التعرف على أهم معالم منهج الشيخ أحمد سحنون في تنزيل الآيات على الواقع.
- بيان معالم ضوابط تنزيل الآيات على الواقع عند الشيخ أحمد سحنون.

هذا وقد تجنبت الخوض في بعض المسائل التي لها علاقة بالموضوع؛ كالدراسة النظرية لمصطلحات عنوان البحث، مراعاة لحجم البحث وآجال إيداعه، ولتناول الزملاء لها في المحور الأول من الملتقى.

أما عن الدراسات السابقة لهذا الموضوع فلم أجد –حسب اطلاعي-دراسة عُنيت ببيان تنزيلات الشيخ أحمد سحنون على الواقع، وقد قُمت بتقسيم هذا البحث بعد المقدمة إلى ثلاثة مباحث وخاتمة، كالآتي:

المبحث الأول: ترجمة موجزة للشيخ أحمد سحنون وبيان صيغه في التنزيل

المبحث الثاني: أساليب ومعالم منهج الشيخ أحمد سحنون في التنزيل على الواقع

المبحث الثالث: مجالات وضوابط الشيخ أحمد سحنون في التنزيل على الواقع

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

وسلكت في هذا البحث عدّة مناهج اقتضتها الدراسة، ومن ذلك المنهج الوصفي في المبحث الأول من خلال التعريف الموجز بالشيخ أحمد سحنون وبيان عباراته في التنزيل، وكذا المنهج الاستقرائي والتحليلي في المبحثين الثاني والثالث، وذلك من خلال استقراء تنزيلات الشيخ أحمد سحنون وتحليلها ودراستها.

وفي الختام أحمد الله سبحانه الذي وفقني لإكماله، وصلَّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين، وآخرُ دعوانا أن الحمْدُ لله ربِّ العالمين.

المبحث الأول: ترجمة موجزة للشيخ أحمد سحنون وبيان صيغه في التنزيل

يتضمّن هذا المبحث التعريف الموجز بالشيخ أحمد سحنون، ثم بيان أهم العبارات والصيغ التي استخدمها في تنزيل الآيات القرآنية على الواقع، وذلك من خلال المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: ترجمة موجزة للشيخ أحمد سحنون

ولد الشيخ أحمد سحنون في ليشانة قرب مدينة بسكرة سنة 1325هـ/ 1907م[1]، حفظ القرآن الكريم وعمره 12سنة على يد والده وشيوخ قريته، من أبرزهم الشيخ محمد خير

[1] يُنظر: بن سلامة الربعي، موسوعة الشعر الجزائري، (501/1).

الدين[2]، وشيوخ زاوية طولقة، وكان عصاميًّا في باقي تكوينه وثقافته.

لم يدرس الشيخ أحمد سحنون عند الإمام عبد الحميد بن باديس، إلاّ أنه كان على تواصل معه، فكان يمدُّه بالنصائح والتوجيهات، إلى أن أصبح ركنا من أركان الحركة الإصلاحية بالجزائر في سنوات الأربعينات.

في سنة 1936م اصطحبه شيخه فرحات بن الدَّراجي[3] إلى العاصمة، وأُسندت إليه مهمّة التدريس في مدرسة الشبيبة الإسلامية، وكان إلى جانب ذلك له مساهمات في عدد من الجرائد والمجلات؛ كجريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين، التي كان يكتب فيها الشعر والمقالات الإصلاحية[4].

عُين الشيخ في سنة 1947م عضواً في المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، واشتغل أستاذا بمدرسة التهذيب الحرة في حي بولوغين فمديرا عليها، وتولّى إمامة المسجد مع إدارة المدرسة[5].

شارك الشيخ في حرب التحرير ضد الاستعمار الفرنسي، فأُلقِي عليه القبض سنة 1956م، فتنقل بين السجون، وعانى ما عانى من القمع خلال السنوات الثلاث التي قضاها في السجن، ليخرج منه سنة 1959م، ويواصل معركة التحرير ضد المستعمر[6].

بعد الاستقلال عاد الشيخ رفقة المخلصين من رجال هذا الوطن ليواصل عمله الإصلاحي في الكتابة، والدعوة والإرشاد، فأُسندت له مهمّة الإمامة والخطابة بالجامع الكبير، وتخرج على يديه مجموعة من الدعاة والعلماء، وتم تعيينه عضوا في المجلس الإسلامي إلى غاية سنة 1968م، حيث استقال وتحول إلى مسجد دار الأرقم بشوفالي الجزائر[7].

كان للشيخ رحمه الله نشاط سياسي كبير خلال فترة الثمانينات والتسعينات، منها رئاسته لرابطة الدعوة سنة 1989م التي كانت مظلة التيارات الإسلامية كلها، ونظرا لمواقف الشيخ من النظام السياسي آنذاك فقد واجهته امتحانات عسيرة، منها محاولة اغتياله[8].

---

[2] الشيخ محمد خير الدين البسكري هو أحد رجالات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وتقلّد عدّة وظائف ومسؤوليات بها، منها توليه مسؤولية جريدة البصائر منذ صدورها، كما عُين في اللجنة التنفيذية بالمؤتمر الإسلامي الجزائري سنة 1936م، توفي رحمه الله يوم الجمعة 1993/12/10 (يُنظر: أحمد سحنون، تأبين شيخي العظيم الإمام محمد خير الدين، مجلة الموافقات، الجزائر، العدد:3، 1994م، (ص381)).

[3] الشيخ فرحات بن الدراجي الليشاني البسكري، فقيه مالكي، درس بالزيتونة وتخرج منها بشهادة التطويع سنة 1931م، ثم انضم إلى جمعية العلماء المسلمين بعد تأسيسها مباشرة، سُجن في بداية الحرب العالمية الثانية بسبب كتاباته ودروسه المناهضة للاستعمار، بعد خروجه عاد إلى لجنة تحرير البصائر، توفي في 13ماي 1951م (يُنظر: رابح خدوسي،موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين،(2/16-17)).

[4] يُنظر: رابح خدوسي، المرجع السابق، (128/2)، ومحمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، (ص677).

[5] يُنظر: رابح خدوسي، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، (128/2).

[6] يُنظر: محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، (ص677).

[7] يُنظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (553/10)، ورابح خدوسي، المرجع السابق، (128/2-129).

[8] يُنظر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (240/1)، وأبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (553/10).

مؤلفاته: للشيخ موهبة كبيرة في كتابة الشعر، ومن أعماله الشعرية التي كتبها وهو في السجن ديوانه المسمّى "حصاد السجن" الذي صدر سنة 1977م، وله ديوان شعر آخر سمّاه: "تساؤل وأمل"، كما كانت له جهود كبيرة في الكتابة في المجلات والجرائد المختلفة؛ كالبصائر والشهاب، ومن ذلك كتابه "دراسات وتوجيهات إسلامية" الذي جمع فيه مقالاته التي كان ينشرها في جريدة البصائر.

وقد أثنى على الشيخ أحمد سحنون كل من عاصره، ومن ذلك الشيخ عبد القادر صيد الذي كتب فيه كتابا سمّاه: "الشيخ سحنون الأديب المصلح"، وقال عنه الأستاذ الهادي الحسني: "كان رجلا ليس كأحد من الرجال، وعالما ليس كأحد من العلماء، فقد أخلصت السنون جوهره، وأظهرت البلايا معدنه وأحمت الفتن رأيه، وأعلت النصيحة منزله، وأغلت المروءة قيمته، ورفع الزهد مكانه"[9]، وأثنى عليه الشيخ الطاهر آيت علجت فقال: "الشيخ أحمد سحنون كاد يكون أمة وحده لأنه انفرد بأشياء وانفرد بصفات فكثير من الصفات تفرقت عند غيره من الدعاة واجتمعت عنده بما فيها الزهد القناعة مكارم الأخلاق والحكمة في الدعوة إلى الله والتأثر فقد كان شديد التأثر لما يُصيب الأمّة فإذا سمع بحدث من الأحداث السيئة أصاب الجزائر خاصة أو بلاد الإسلام عامة يُصاب بالمرض الذي يُلزمه الفراش أياما رحمة الله عليه"[10].

توفي رحمه الله في الجزائر العاصمة سنة 1424هـ/2003م ودفن بها[11].

المطلب الثاني: صيغ التنزيل على الواقع عند الشيخ أحمد سحنون

استخدم الشيخ أحمد سحنون عدّة صيغ وعبارات تُشير إلى تنزيل الآيات القرآنية على واقع أهل زمانه، ومن الأمثلة على ذلك:

الفرع الأول: عبارة "كما تشير إليه الآية"

وهذه العبارة من العبارات الصريحة على ربط الآيات بواقعه، ومثالها قوله: "... وإذا كانت الكلمة اللينة والصدر الرحب من خير أدوات الدعوات بحيث تجعل العدو صديقا **كما تشير إليه الآية**، فبعكس ذلك تكون الكلمة الجافية والصدر الضيّق من شرّ أسباب النفور بحيث يجعلان الصديق عدواً، وهذا ما آل إليه حال المسلمين بعد أن انحرفوا عن منهج القرآن وأدب الإسلام..."[12].

الفرع الثاني: عبارة "وهكذا عكس المسلمون الآية"

هذه العبارة كذلك من العبارات الصريحة الدالة على التنزيل، ومثالها قوله: "...وهكذا فالتعاون على الإثم والعدوان الذي نهى الله عنه قد حلَّ محلَّ التعاون على البرِّ والتقوى الذي

---

[9] نقلا عن: رابح خدوسي، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، (129/2).

[10] العلّامة الطّاهر آيت علجت يتحدّث عن أخيه العلامة أحمد سحنون، عمار رقبة الشرفي، موقع المكتبة الشاملة الجزائرية، تاريخ الاطلاع: 10-10-2022، الساعة: 22:29، على الرابط: https://shamela-dz.net/?p=158

[11] يُنظر: رابح خدوسي، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، (129/2).

[12] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص45)

أمر الله به، **وهكذا عكس المسلمون الآية؟**"[13].

الفرع الثالث: عبارة "يعني رجل هذا العصر"

ومن الأمثلة على استعمال هذه العبارة، قوله: " فكأن قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ**﴾ **يعني رجل هذا العصر** ولكن لا خير في عصر لا يسير على مقتضى هذه الكلمة..." [14].

الفرع الرابع: عبارة " إنها لصورة طبق الأصل –أي معنى الآية-"

وهذه من العبارات الصريحة الدالة على التطابق الكلي بين الآية والواقع، ومثالها قوله: "﴿**وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ**﴾ [المنافقون: 4] ما شاء الله! **إنها لصورة طبق الأصل –أي معنى الآية- لطبقة كبيرة في المجتمع**، يخدعك مظهرها اللّماع المتبجّح عما يُخفي وراءه من تفاهة وحقارة وزَيف..." [15].

الفرع الخامس: عبارة " فإن فيه-أي الآية- قطع الطريق عن أعذار المعتذرين"

وردت هذه العبارة في قوله:"وليتأمل القارئ جيدا قوله: ﴿**فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ**﴾ الآية، **فإن فيه قطع الطريق عن أعذار المعتذرين لهضم حقوق المرأة وإساءة عشرتها**، بدافع نفور الطبع، فربما جعل الله فيما نكره ما نحبّ ونحن لا نعلم، فلا نغتر بتمويه الطبع"[16].

الفرع السادس: عبارة " فنقول لهم على ضوء هذه الآية"

ومثالها قوله: "كما أن هذه الآية الكريمة تقطع حجّة الذين يرون أن الإسلام أصبح بحاجة أكيدة إلى أن تلحق به أشياء كثيرة وتُضاف إليه مسائل جديدة اقتضتها حالة العصر وأوضاعه الحديثة، **فنقول لهم- على ضوء هذه الآية-**: إن الإسلام غني عن كل زيادة، بريء من كل نَقص..." [17].

الفرع السابع: عبارة "نتناول الآية من موضع العبرة فيها لا غير"

وهي من العبارات الصريحة على تنزيل الآيات، ومثالها قوله: "...**إنما نتناول الآية من موضع العبرة** فيها لا غير، بأن نقارن ما تضمنته من وصف عباد الرحمن، بما نحن عليه الآن، ليكون ذلك حافزا لنا على السير على منهاجهم والتخلق بأخلاقهم، وهذا نفس ما قصد إليه القرآن"[18].

الفرع الثامن: عبارة " ولكن المسلمين اليوم"

من العبارات كذلك الدالة على التنزيل هذه العبارة، ومثالها قوله: "إذن- فشرف هذه الأمة وفضلها على الأمم قائم على بقاء هذا الدين في العمل به والدعوة إليه، **ولكن المسلمين اليوم**

---

[13] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص58)
[14] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص65)
[15] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص89)
[16] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (265)
[17] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص86-87).
[18] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص92).

لم يعملوا بدينهم فضلا عن أن يدعوا إليه..."[19].

الفرع التاسع: عبارة " أين هؤلاء اليوم"

وهذه من العبارات التي استخدمها الشيخ، فبعد إشارته لنماذج حيّة من صفات عباد الرحمن في القرآن الكريم، قال: "وقلت: **أين هؤلاء اليوم**؟ وكيف اختفوا جميعا فلم تقع العين على واحد منهم؟ ..."[20].

الفرع العاشر: عبارة " نعم هذه هي الحال الغالبة على الناس تجاه هذه الآيات"

وهذه كذلك من العبارات الصريحة في الدّلالة على التنزيل، حيث قال بعد ذكره لقوله تعالى: ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ**﴾ [يوسف:105] : "**نعم هذه هي الحال الغالبة على الناس تجاه هذه الآيات ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾**، كأنها شيء لا يستحق الالتفات."[21].

المبحث الثاني: أساليب ومعالم منهج الشيخ أحمد سحنون في التنزيل على الواقع

يتضمّن هذا المبحث عرض أساليب الشيخ أحمد سحنون في التنزيل على الواقع، ثم بيان أهم معالم منهجه في التنزيل من خلال المطلبين الآتيين:

المطلب الثالث: أساليب الشيخ أحمد سحنون في التنزيل

سلك الشيخ أحمد سحنون في تنزيل الآيات القرآنية على الواقع، أسلوبين؛ هما:

أولا: التصريح المباشر

يُقصد بالتصريح المباشر لأسلوب التنزيل أن يُصرح المفسِّر أن معنى الآية أو الآيات واقع في زمانه وواقعه، فيعبّر عنها أثناء تفسيره للآية[22].

وهذا الملمح ظاهر وكثير في تنزيل الشيخ أحمد سحنون، الذي قصد من خلال التصريح أن تصل رسائله إلى أصحابها وتُؤدي مفعولها وأثرها في أهل زمانه، ومن الأمثلة على ذلك:

- عند تفسير قوله تعالى :﴿**وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ**﴾[النور: 33] وقوله: ﴿**وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ**﴾[الحديد:7]، قال: "... ولكن أرباب المال حسبوا أنفسهم أربابا للمال، ولم يفهموا أن المال مال الله وهم خلفاؤه عليه ... "[23].

- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ [آل عمران:110]، قال: "ولكن العلماء أوفر حظا من هذا الواجب لأنهم ورثة الأنبياء في الدعوة إلى الله وإصلاح المجتمع ولأنهم أعلم من غيرهم بطرق الدعوة وأساليبها،..."[24].

---

[19] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص185).
[20] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص260).
[21] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص282).
[22] يُنظر: عبد العزيز الضامر، تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين، (ص71).
[23] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص28).
[24] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص44).

• وعند تفسير قوله : ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾ [فصلت:34]، قال: "... وهذا ما آل إليه حال المسلمين بعد أن انحرفوا عن منهج القرآن وأدب الإسلام، فقد كانت أخلاقهم تَفتح لهم القلوب وتَفسح أمامهم الطريق وتجعل من أولئك الأعداء الأشداء والخصوم الألدّاء أخدانا وإخوانا وعلى الدعوة إلى الله ونصره دينه أنصارا وأعوانا..."[25].

ثانيا: التنزيل غير المباشر

يُقصد بالتنزيل غير المباشر أن يُشير المفسر أن معنى الآية أو الآيات واقع في زمانه، دون أن يُصرح بذلك، بل يُورده على سبيل التعريض والتلميح، والسّبب في ذلك يرجع غالبا إلى الأوضاع السياسية التي تستدعي منه عدم الإفصاح خَشية الإيذاء أو التنكيل[26].

وهذا الملمح ظاهر في تنزيل الشيخ أحمد سحنون في مواضع كثيرة من كتابه، وذلك نظرا للظروف السياسية التي كان يمارسها الاستعمار الفرنسي والرقابة الصّارمة التي كان يفرضها على الجرائد والمجلات، ممّا دعا الشيخ أحمد سحنون لاستعمال أسلوب التعريض عند الإشارة إلى الاستعمار الفرنسي بعبارات يدلّ عليها السياق الذي قبلها أو بعدها، ومن أمثلة ذلك:

• عند تفسير قوله تعالى:﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ**﴾[هود:25]، قال: "وهكذا كل طاغية تتحكم فيه الأنانية ويعميه الغرور فيتحدى الخلق والخالق لا بد أن يَلقي مصرعه على نحو من الأنحاء"[27].

• وعند تفسير قوله تعالى:﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾ [المائدة:3]، قال: " ... وإنما راجت بصفة مدهشة، في هذه الفترة الحاسمة من حياة هذه الأمة، لغرض آخر جديد غير غرض (الشيخ أحمد) وأكبر منه، غرض تعين على فهمه وتفسيره الحالة الحاضرة، لعله يراد به صرف تفكير الأمة عما يسبب القلق لمستغلها وتخدير شعورها، فتخلد إلى الدعة، والسكون، وذلك ما لا يكون...."[28]، والمقصود هنا كذلك المستعمر كما يدل عليه سياق الكلام الذي يسعى من وراء نشر البدع تخدير الشعب وإبعاده عن قضيته الأولى.

• وعند تفسيره لقوله تعالى:﴿**فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ**﴾ وقوله: ﴿**فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا**﴾، قال: "فلا يفرح الظالمون ولا تطمئن بهم المضاجع ولا تقرّ أعينهم بما استولوا عليه بالسّلب والنّهب وسفك الدماء، فإنهم إلى تباب، وإن ملكهم إلى زوال و﴿**إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ**﴾، وإن النعمة تدوم مع الكفر ولا تدوم مع الظلم كما يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فكيف إذا اجتمع كفر وظلم، ولا يستبد الأسى والجزع بالمظلومين، ولا تذهب نفوسهم حسرات فإن الله لابد- إن ثبتوا وصبروا - ناصرهم ومؤيدهم ومستجيب دعائهم"[29].

---

[25] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص45).
[26] يُنظر: عبد العزيز الضامر، تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين، (ص72).
[27] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص66).
[28] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص87).
[29] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص138).

فمن تأمل هذه النقول التي ذكرها الشيخ أحمد سحنون يظهر له بجلاء أنه لم يصرح باسم المستعمر الغاشم، وإنما استعمل أسلوب التعريض والتلميح، كما يدلّ على ذلك سياق الكلام.

المطلب الثاني: معالم منهج الشيخ أحمد سحنون في التنزيل

الاستقراء الكلي الذي قُمت به على تنزيلات الشيخ أحمد سحنون على الواقع، نتج عنه استخراج قرابة الثلاثين موضعاً تطبيقياً، عُني فيها الشيخ أحمد سحنون بتأصيل هذا الإسقاط وبيانه، وعلى هذا يمكن حصر بعض ملامح منهجه في النقاط الآتية:

الفرع الأول: الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية في التنزيل

من أمثلة الاستدلال بالآيات القرآنية عن الإسقاط على الواقع قوله: "...نعم هذه هي الحال الغالبة على الناس تجاه هذه الآيات ﴿**يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ**﴾ كأنها شيء لا يستحق الالتفات"[30].

ومن أمثلة استدلاله بالحديث النبوي على التنزيل قوله: "... وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم، وغضب عليهم فلم يقبل دعاءهم وكفى بهذا عقابا لهم وحق عليهم بذلك قولهﷺ: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يُستجاب لكم»"[31].

الفرع الثاني: أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

وهذه القاعدة تظهر عند الشيخ أحمد سحنون من خلال التطبيق العملي لها، عند تنزيل الآيات القرآنية على الواقع، ومن ذلك استدلالة عند الرد على منكري البعث والجزاء بسبب نزول قوله تعالى:﴿ **أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ ...**﴾[يس:77-79]، فقال: "وروي أن العاص بن وائل أخذ عظماً رميماً ففته وقال للنبيﷺ: أترى يحي الله هذا بعدما بلى ورم؟ فقالﷺ: نعم ويدخلك النار، ونزل فيه قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**﴾[يس:77-79]، وهذه كلّها أدلة قوية على أن من خلق الخلق قادر على أن يعيدهم ﴿**كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ**﴾"[32].

فهذا السبب كما هو ظاهر وإن كان خاصا بالعاص بن وائل عندما أنكر البعث والجزاء، إلاّ أن الشيخ أخذ بعموم اللفظ ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ ....**﴾، وأسقطه على منكري البعث والجزاء الذين ظهروا في زمانه فقال: " لذلك لا يخلو زمان ولا مكان من **منكرين للبعث والجزاء** ولا سيما في هذا العصر المادي الذي لا يؤمن أهله إلا بكل مادي محسوس ولقد رأينا كثيرا من المسلمين اليوم جرفهم هذا التيار، تيار الإنكار لعالم الغيب وعدم الإيمان بغير

---

[30] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص282).
[31] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص185).
[32] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص70).

المادي المحسوس من الأشياء، ولاسيما من تثقف ثقافة غربية"[33].

الفرع الثالث: الإسهاب في بيان وجه تنزيل الآيات على الواقع

وهذا ملمح واضح عند الشيخ أحمد سحنون فنجده يُسهب في بيان وجه تنزيل الآيات القرآنية على واقعه، كما فعل ذلك عند عقده مقارنة بين عباد الرحمن وما عليه أهل زمانه، كما سيأتي بيانه في المطلب الأول من المبحث الثالث.

الفرع الرابع: إبراز وجه المخالفة الكلي بين التنزيل والواقع (التنزيل العكسي)

يُقصد به أن يقوم المفسر بالتنزيل على ما يُخالف معنى الآية [34]، وقد استخدم الشيخ أحمد سحنون هذا التنزيل في بعض المواضع، ومن أمثلة ذلك:

- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ [المائدة: 2]، أشار إلى أن **واقع المسلمين اليوم معاكس تماما للمعنى** الذي دلّت عليه الآية، فقال: "وهكذا فالتعاون على الإثم والعدوان الذي نهى الله عنه قد حلَّ محلَّ التعاون على البر والتقوى الذي أمر الله به، **وهكذا عكس المسلمون الآية**؟ وهذا التشجيع للمبطلين قد غرّهم"[35].
- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾[فصلت:34] أشار إلى أن واقع المسلمين اليوم بعكس مضمون الآية، فقال: "وإذا كانت الكلمة اللينة والصدر الرحب من خير أدوات الدعوات بحيث تجعل العدو صديقا كما تشير إليه الآية، **فبعكس ذلك تكون الكلمة الجافية** والصدر الضيق من شر أسباب النفور بحيث يجعلان الصديق عدوا، وهذا ما آل إليه حال المسلمين بعد أن انحرفوا عن منهج القرآن وأدب الإسلام ..."[36].

الفرع الخامس: استخدم التنزيل الكلي في بعض الأحوال

يُقصد بالتنزيل الكلي بأن يكون التطابق كليا بين معنى الآية أو الآيات والواقع[37]، ومن أمثلة ذلك ما ذكره بعد تفسيره قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ**﴾[المنافقون: 4]، حيث قال:" ما شاء الله! **إنها لصورة طبق الأصل – أي معنى الآية- لطبقة كبيرة في المجتمع**، يخدعك مظهرها اللّماع المتبجح عما يخفي وراءه من تفاهة وحقارة وزيف..."[38].

الفرع السادس: ضمَّن الشيخ بعض التنزيلات لمواقف شخصية وقصصا عاينها بنفسه

من حين لآخر نجد الشيخ أثناء تنزيل بعض الآيات على واقع أهل زمانه، يستشهد بمواقف

---

[33] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص71).
[34] يُنظر: الضامر، تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين، (ص78).
[35] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص57).
[36] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص45).
[37] يُنظر: تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين (ص76).
[38] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص89)

شخصية أو قصص عاينها بنفسه، ومن الأمثلة على ذلك، ذكره لقصّة الغلام التي عاينها بنفسه أثناء زيارته لمنطقة زلزال الأصنام، وذلك أثناء تنزيل قوله تعالى: ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ**﴾[يوسف: 105] على هذه الحادثة، فقال: "وبينما أنا مستغرق في هذه التأملات، أستجلي العبر من هذه المثلات، وأسكُب ما صِنته من عَبرات، على هذا الجانب الخصيب، من الوطن الحبيب، الذي استحال حُطاما وعاد أنقاضاً، وإذا بأحد الرفاق في هذه الرحلة، يجذبني من طرف ثوبي ويلفتني إليه قائلا: **تعال واسمع، فهذا زلزال آخر يُنسيك هذا الزلزال الذي ما يزال أثره عالقا بنفسك**، آخذا بِلبك، فالتفت في فزع ودهش، واستفسرته النبأ فقال: **الآن وصلت رسالة من طفل إلى والده يقول له: إن لم تسرع إلي انتحرت**،- ذلك لأن هذا الطفل من هؤلاء الأطفال الذين اضطرهم هذا الزلزال إلى أن يأووا إلى معهد من المعاهد الدينية الكاثوليكية خارج البلاد المصابة بالزلزال- وأخذ الطفل بعد ذلك يقص على والده كيف أنهم سُلموا إلى راهب ناولهم نوعا من الحلوى أنكروها وكرهوها..."[39].

الفرع السابع: خَتْمُ تنزيله بتوجيه النصح إلى القارئ وإرشاده للتدبر والتأمل في آيات الله

في آخر كل تنزيل للآيات القرآنية على واقع أهل زمانه، يُحاول الشيخ غالبا توجيه النصح للقارئ الذي يُخاطبه من خلال جريدة البصائر التي كان ينشر فيها هذه المقالات، ودعوته لتدبر آيات الله والعمل بها، والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها:

- كلامه عند قوله تعالى: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾[النساء: 19]، حيث قال: "**وليتأمل القارئ** جيّداً قوله: ﴿**فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ**﴾ الآية، فإن فيه قطع الطريق عن أعذار المعتذرين لهضم حقوق المرأة وإساءة عشرتها، بدافع نُفور الطبع، فربّما جعل الله فيما نكره ما نحبُّ ونحن لا نعلم، **فلا نغتر بتمويه الطبع**"[40].

- كلامه عند قوله تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾[محمد: 24]، حيث قال مخاطبا القارئ والسّامع: "... **فلنتدبر القرآن** ولاسيما في هذا الشهر شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن لنصل إلى كل خير يدعو إليه القرآن"[41].

- كلامه عند قوله تعالى:﴿**لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**﴾[البقرة: 272]، وقوله: ﴿**إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**﴾ [الأنعام: 36]... ، حيث قال مخاطبا القارئ والسّامع: "... وإذن- فلا يَفُت في أعضادنا ما يقوم في طريقنا من صعوبات وعراقيل، فما علينا إلا السعي المتواصل في سبيل الدعوة إلى الله، وإسعاد الإنسانية في العاجلة والآجل و﴿**اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ**﴾"[42]

---

[39] يُنظر: أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص286).
[40] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص265)
[41] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص64)
[42] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص82)

• كلامه عند قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ**﴾[المائدة: 66]، حيث قال: " فتعالوا إلى القرآن فهو الدواء إن أَعْضَل الداء وعزَّ الدواء" [43].

المبحث الثالث: مجالات وضوابط الشيخ أحمد سحنون في التنزيل على الواقع

يتضمّن هذا المبحث عرض مجالات التنزيل على الواقع عند الشيخ أحمد سحنون، ثم بيان أهم ضوابطه في التنزيل من خلال المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: مجالات تنزيل الآيات على الواقع عند الشيخ أحمد سحنون

تضمَّن هذا الكتاب الذي ألَّفه الشيخ أحمد سحنون فصولاً دينية واجتماعية كانت قد نُشرت في جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حاول من خلاله الشيخ أحمد سحنون إصلاح ومعالجة أوضاع وطنه وأمته عن طريق استغلال المناسبات المختلفة؛ كمناسبات الزواج والختان واحتفالات المولد النبوي ورأس السنة الهجرية وليالي رمضان خاصة ليلة السابع والعشرين منه؛ لأنه كان لا يمرُّ على آية لها علاقة بواقعه ومجتمعه؛ إلا حاول ربطها.

وحسب الاستقراء الكلي لتنزيلات الشيخ أحمد سحنون للآيات القرآنية على الواقع، فإنه يمكن حصر أهم مجالات التنزيل في: التنزيل العقدي والتعبدي، التنزيل السياسي والفكري، التنزيل الاجتماعي والسلوكي.

الفرع الأول: التنزيلات العقدية والتعبدية

حسب الاستقراء فإن التنزيلات العقدية والتعبدية، تُعد من أكثر القضايا التي نزّل عليها الشيخ أحمد سحنون الآيات وربطها بالنصوص القرآنية، وذلك ردا على الانحرافات والشبه العقدية التي كانت مثارة في زمانه، ومن الأمثلة على ذلك:

أولا: تحذير أهل زمانه من البدع والخرافات العقدية

من الآيات التي تناولها الشيخ في موائد القرآن الكريم تفسير قوله تعالى : ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾[المائدة:3]، وأشار إلى أن هذه الآية هي عنوان كمال هذا الدين، كما كانت آية ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر:9] عنوان مجد الخلود للقرآن.

فقد لاحظ الشيخ رحمه الله الانتشار الكثير للبدع المخالفة للشرع في أهل زمانه، فأراد تحذير أمته منها، فقال: "فهذه الآية عنوان مجد الكمال للإسلام فهي تغلق الباب في وجه المبتدعين الذين لا تطيب لهم الحياه إلا على تعدّى الحدود وتَسَوَّر الأبواب، والإتيان- دائما- بجديد لا تُسيغه إلا عقولهم الشّاذة، فيحدثون في دين الله ما لم يأت به نص، ولم يقم عليه دليل، بدعوى الاستحسان فلا يجنون من صنيعهم إلا عكس ما أرادوا، وإذا بهذا الذي أدخلوه

[43] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص171)

على دين الله هو الذي يخرجهم منه جزاء وفاقا، وذلك معنى قوله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[44]، وخفي عنهم أن الله ما سكت عما تبجحوا به إلا رحمة بهم وشفقة عليهم، قال ﷺ: «**إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحدَّ حدودا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم، غير نسيان، فلا تبحثوا عنها**»[45]"[46].

ومن البدع المحدثة التي كانت منتشرة في زمن الشيخ وكثر حولها اللغط، الرسالة المفتعلة المنتحلة عن رسول اللهﷺ التي يروجها **الشيخ أحمد خادم القبر الشريف**، فتصدى لها الشيخ وبيّن خطأها من خلال إسقاط مضمون الآية عليها، وأن نبينا محمدﷺ لم ينتقل إلى الرفيع الأعلى إلاّ وقد بلّغ الرسالة وأدى الأمانة، أفبعد كل هذا يأتي (الشيخ أحمد) أو غيره ليكذب على الله ويتجرأ على رسول اللهﷺ، ويأتينا برسالة جديده، قال الشيخ: "وأدهى وأمر، من كل ما مرَّ، تلك الرسالة المفتعلة المنتحلة عن رسول اللهﷺ التي يروجها **الشيخ أحمد خادم القبر الشريف**، كما هو مثبت في صدر هذه الرسالة، التي أثارت ضجة وكثر حولها اللغط، وشغلت بال كثير من الناس، حتى كتب إلينا بعضهم يسأل عن حقيقة أمرها، إنها لجرأة منكرة على رسول اللهﷺ، ودناءة مفضوحة في الاتجار بدين الله، وتَحيُّل بارد ممقوت، للعيش على هامش الحياة، إن محمداﷺ قد بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونام قرير العين مرتاح الضمير، ناعم البال، لأنّه ما انتقل إلى جوار ربه حتى نزل عليه من ربه: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾[المائدة:3] أبعد هذا كلّه يأتي (الشيخ أحمد) أو غيره يكذب على الله ويتجرأ على رسول اللهﷺ، ويأتينا برسالة جديده"[47].

ومما يُبيّن فقه الشيخ واطلاعه الكبير بواقع أمّته، إشارته إلى الجهة التي تقف وراء هذا الترويج المدهش والكبير لهذه البدعة والغرض الحقيقي المقصود من ورائه خاصة في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ أمته.

فالشيخ رحمه الله يكشف لأمته خطط المستعمر الذي يُريد تخدير شعبه وغمسه في البدع والخرافات حتى يصرفه عن قضيته المحورية المتمثلة في نيل الاستقلال والتحرر، وأن ذلك لن يتحقق لهم بإذن الله، فقال: "وإنما راجت بصفة مُدهشة، في هذه الفترة الحاسمة من حياة هذه الأمّة، لغرض آخر جديد غير غرض (الشيخ أحمد) وأكبر منه، غرض تُعين على فهمه وتفسيره الحالة الحاضرة، لعلّه يُراد به صرف تفكير الأمّة عمّا يُسبب القلق لمستغليها وتخدير شعورها، فتخلُد إلى الدَّعة، والسُّكون، وذلك ما لا يكون..."[48].

ثم يختم كلامه بربط واقعه بمضمون هذه الآية بصيغة صريحة فقال: " كما أن هذه الآية

---

[44] أخرجه البخاري في صحيحه، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، حديث رقم: 2550،، (959/02)، ومسلم في صحيحه، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، حديث رقم: 1718، (132/5).

[45] أخرجه الطبراني في معجمه الكبير، باب مكحول عن ثعلبة، (255/22).

[46] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص86).

[47] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص86).

[48] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص87).

الكريمة تقطع حجة الذين يرون أن الإسلام أصبح بحاجة أكيدة إلى أن تُلحق به أشياء كثيرة وتضاف إليه مسائل جديدة اقتضتها حالة العصر وأوضاعه الحديثة، فنقول لهم-على ضوء هذه الآية-: إن الإسلام غني عن كل زيادة، بريء من كل نقص، ولو كان يحتاج إلى زيادة أو بقي على شيء من النقص، لتكفل الله بتلك الزيادة ولسد ذلك النقص خصوصا وهو الدين الذي جعله الله خاتمة الأديان، وجعله صالحا لكل جيل ولكل زمان، فكيف يترك الباب مفتوحا لهؤلاء المتطفلين المتفلسفين"[49].

ثالثا: دعوة أهل زمانه وأمته إلى التفكر والتدبر في آيات الله

بعد الزلزال الكبير الذي ضرب منطقة الأصنام وحولها إلى شبه أطلال، وأمام الفاجعة العظيمة التي ألمت بالشعب الجزائري، كتب الشيخ مقالاً عنونه بـ: "إذا زلزلت الأرض" عبر فيه عن حزنه وألمه الشديد لما ألمّ بأمّته ووطنه الحبيب.

بدأ الشيخ بتفسير قوله تعالى: ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ**﴾**[يوسف:105]**، وبيّن أن التفكر والتدّبر في آيات الله التي بثّها في الأرض والسّموات هي الكنوز الثمينة التي تُغذي الفكر البشري وتُوقظ مشاعره وتشحذ عزائمه، وتفتح له نوافذ فكره على دُنى وحيوات ما كان ليقف عليها لولا التفكّر والتدبّر".

ثم انتقل الشيخ كعادته إلى إسقاط هذه الآية على واقعه لبيان الخلل وإصلاحه، وبيان العلاج المناسب لذلك، فقال: "ولكن هذه الكنوز الثمينة القيمة مفتاحها التفكير، فلا يحظى بشيء من نفائسها وأَعْلاقها من لم يفكر فيها، ويُمعن النظر إليها، ويرسل أشعة عقله عليها، **وهذه هي الحال الغالبة على الناس**، ولذا نبّه الله عباده إلى ما غفلوا عنه من الانتفاع بهذه الآيات بقوله: ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ**﴾ **[يوسف:105]** نعم هذه هي الحال الغالبة على الناس تجاه هذه الآيات ﴿**يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ**﴾، كأنها شيء لا يستحق الالتفات"[50].

وخَلُص الشيخ في الأخير بعد حكاية قصّة الغلام الذي طلب من والده أن يُدركه قبل أن ينتحر بعدما اضطره الزلزال ومجموعة من الأطفال أن يأووا إلى أحد المعاهد الدينية الكاثوليكية بعيدا عن مكان الزلزال، وذلك من الضغوط النفسية التي عاشوها داخل هذا المعهد من الرهبان والصلبان والطقوس الدينية التي لم يعتادوها ولم ينشأوا عليها، والتي أحسوا معها بالخوف على عقيدتهم، إنّ هذا هو الزلزال الحقيقي الذي ينبغي أن نكون منه على حذر، فليس الزلزال أن تموت مسلما شهيدا تحت الأنقاض، ولكن الزلزال أن تخسر دينك الإسلام، ولو عشت بعد ذلك ألف عام، ولو كان المسلمون كلهم كهذا الغلام، لانتصر الإسلام."[51].

---

[49] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص86-87).

[50] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص282).

[51] ينظر: أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص286).

حاول الشيخ توظيف هذه الآية لمعالجة واقع أمته التي غفلت عن التفكر والتدبر في آيات الله، وذلك بدعوتهم إلى الانتفاع بآيات الله التي تغذي فكرهم وتشحذ عزائمهم للإقبال على الله.

رابعا: دعوة أهل زمانه للتصدي لمنكري البعث والجزاء

من القضايا التي تصدّى لها الشيخ وظهرت في زمانه مسألة إنكار البعث والجزاء، وقد حاول الشيخ تفنيد هذه الدعوة وردّها، ومن الأدلة التي أوردها: قوله تعالى:﴿**أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى**﴾[القيامة: 36-40]، وقوله:﴿**فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٍ**﴾[الطارق:5-8] ...

وبعد سرده لكل هذه الأدلة، حاول إسقاطها على واقعه فقال: "لذلك لا يخلو زمان ولا مكان من منكرين للبعث والجزاء ولا سيما هذا العصر المادي الذي لا يؤمن أهله إلا بكل مادي محسوس ولقد رأينا كثيرا من المسلمين اليوم جرفهم هذا التيار، تيار الإنكار لعالم الغيب وعدم الإيمان بغير المادي المحسوس من الأشياء، ولاسيما من تثقف ثقافة غربية، فإذا حدثتهم عن العالم الآخر سخروا منك وضحكوا ملء أفواههم على بقائك متمسكا بهذه القشور (هكذا). ولولا أن الله لم يرد بهم خيرا لرأوا أن الإيمان بالبعث والجزاء لا يُفَوّت عليهم شيئا من رغباتهم كما يُفوّته عليهم إنكارهم وكفرهم..."[52].

خامسا: تحذير شباب أمته من دعوة الإلحاد التي ظهرت في زمانه

كان الشيخ رحمه الله على دراية كبيرة بما يُحاك من مخططات ضد الشباب لإبعاده عن دينه، وعن قضيته الأولى، وهي تحرير البلاد، ومن ذلك إسقاطه على قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾[المائدة: 117]، وقوله: ﴿**وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾[محمد:38]، فقال: "وأكبر ما ابتليت به الدعوة الإسلامية في هذا العصر هذه الدعوة الإلحادية التي تقوم بها الكثرة الغالبة من شبابنا الذي قضت عليه ظروفه السيئة أن يتلقى ثقافته عن قوم ليس لهم عدو إلا الإسلام حتى أصبح مقياس الرُقي عندهم عقوق هذا الدين الذي بذل شباب الإسلام الأوّلون في الدعوة له والدفاع عنه دماءهم وأرواحهم، ولكن سينصره الله وإن خذله المسلمون كما نصره قبل أن يخلقوا والعالم كله يتيه في الشرك والوثنية"[53].

سادسا: مقارنة بين أوصاف عباد الرحمان وما عليه أهل زمانه

ضمن حلقات أصدرها الشيخ أحمد سحنون في جريدة البصائر تحت مسمّى: "على مائدة القرآن" عقد فيها مقارنة بين عباد الرحمن وبين ما عليه أهل زمانه، من أجل أخذ العبرة

[52] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص70).
[53] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص46).

والتأسي بهم والسير على خطاهم، ومن ذلك:

- أشار الشيخ إلى أن القرآن وصف عبد الرحمان بصحة العقيدة والإخلاص في العمل، إذ يقول: ﴿**وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ**﴾[الفرقان:78]، ثم أسقط هذه الآية على واقع أهل زمانه، فقال: "ونحن لو صحت عقيدتنا في الله وأخلصنا العمل لله ووقفنا عند حدود الله لما سلّط علينا من لا يرحمنا ولا يخاف الله"[54].

- وأشار الشيخ إلى أن القرآن وصف عباد الرحمان بأنهم لا يبيتون نياما، وإنما يبيتون سجدا وقياماً، واستدل بقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا**﴾[الفرقان:64]، ثم أسقط هذه الآية على أهل زمانه، فقال: "وأين اليوم هؤلاء، إنهم لأعز من الكبريت الأحمر، وإنما الذين يوجدون بكثرة هم الذين يتهاونون بالفرض ويسهون عن المكتوبة فيستحقون الويل الذي وعد الله به أمثالهم"[55].

- وذكر الشيخ كذلك أن القرآن الكريم وصف عباد الرحمان بتحري الحق في كل ما يأتون فلا يشهدون الزور، ولا يحضرون اللغو، إذ يقول: ﴿**وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا**﴾[الفرقان:72]، ثم أسقط هذه الآية على أهل زمانه، فقال: "ونحن أطلقنا لألسنتنا العنان تمدح بغير حق وتذم بغير حق، وتلك هي شهادة الزور بعينها، أما اللغو فقد أصبحت سوقه هي السوق الرائجة النافقة لدينا، وليس اللغو إلا هذا الهراء مما يسمّى أدباً وهذا الفحش مما يدعى غناء، وهذا الرقص الداعر والتمثيل السخيف الذي يسمّى فنا"[56].

ربط الشيخ في هذه الآيات بين صفات عباد الرحمن المضمّنة في الآيات القرآنية وبين ما عليه أهل زمانه، وذلك ليكون حافزا لهم للسير على منهاجهم والتخلق بأخلاقهم ولنأخذ منهم العبرة.

الفرع الثاني: التنزيلات السياسية والفكرية

تأتي القضايا السياسية والفكرية في المرتبة الثانية بعد التنزيلات العقدية، التي حاول الشيخ تنزيل الآيات عليها وربطها بالنصوص القرآنية، فحاول الشيخ من خلال هذه الإسقاطات التصدي لمؤامرات وخطط المستعمر الفرنسي الغاشم، وذلك عن طريق التحريض على مقاومته، وإفشال مخططاته، ومن الأمثلة على ذلك:

أولا: تحريض شعبه على مقاومة الاستعمار الذي حَرَمه جنة بلاده

كان الشيخ يُحاول في كل مناسبة شحن شعبه ضد المستعمر الغاشم، وذلك بحقن وإثارة الغيرة على شخصيته ولغته ودينه، وبثّ روح الحقد والكراهية، فمن ذاك استغلاله لأحد مناسبات رأس السن الهجرية ليستنهض الهمم لتجنيد الأموال في معركة الاستقلال ضد المستعمر، واعتبر أن المال هو طريق الاستقلال، وحذر من مغبة الشحّ بالمال في شهر الله الحرام

[54] أحمد سحنون، دراسات وتوجهات إسلامية، (ص93).
[55] أحمد سحنون، دراسات وتوجهات إسلامية، (ص93).
[56] «دراسات وتوجهات إسلامية، (ص93).

وهو شهر زكاة الأموال، وحذر من فتنة الشّيطان في الأموال مستدلا على ذلك بقوله تعالى : ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا**﴾[فاطر:6]، فقال: "واعلموا أنما أموالكم فتنة فلا يفتنكم الشيطان ولا يدخل عليكم من هذه الثغرة ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا**﴾ **[فاطر:6]**"[57].

وبعد تفسيره لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا**﴾[فاطر:6] قال: "واعلموا أن لكم شيطانين: الشيطان الذي أخرج أبويكم من الجنة، **وشيطان الاستعمار الذي حرمكم جنة بلادكم** ولم يترك لكم فيها إلا حظ الخدم فأنتم وأموالكم وأوطانكم ملك له، الشيطان الأول يغريكم بالبخل فيما يحييكم وينهض بكم من عثرتكم، والشيطان الثاني يعزيكم بإتلاف مالكم وتبديد ثروتكم فيما فيه هلاككم وفناؤكم وذهاب ريحكم، إن الاستعمار الذي وكل بكم ينصب لكل درهم من دراهمكم فخا ويضع لكل حاسة من حواسكم شهوة تتسرب منها أموالكم وتفسد بها أخلاقكم وتتسمم بها صحتكم، فجعل لعيونكم شهوة التمثيل الداعر والرقص الفاجر، ولآذانكم الغناء البذي والإذاعة البغي، ولأنوفكم الحشيشة المسممة، ولأفواهكم الخمر المبيدة ولغرائزكم الجنسية مؤسسات البغاء والعار والخنى، كل هذه البليات بالوعات لأموالكم وجراثيم لصحتكم وآفات لأخلاقكم، فباستيلائه على أموالكم يقص أجنحتكم وبتسميمه لصحتكم يشل حركتكم وبإفساده لأخلاقكم يقضي على حياتكم"[58].

فالإمام رحمه الله استغل هذه المناسبة ليربط هذه الآية بالواقع الذي يعيشه، ويبين خطر شيطان الاستعمار الجاثم على صدر أُمّته، وكيف استطاع أن يوجه أموال الأمّة نحو الفُحش والدّعارة والرّقص والفُجور، بدل إنفاقها في حرب الاستقلال.

ثانيا: تحذير المستعمر من الظلم وبيان عاقبة الظالمين

تحدث الشيخ في هذا المقال الذي عنونه :"عقبى الظالمين" عن الظلم الكبير الذي تعرض له الشعب الجزائري من المستعمر الفرنسي، الذي عاث في الأرض فسادا وظلما وسلبا وقهرا وتشريدا، إلاّ أن الشيخ كعادة علماء الجمعية استخدم أسلوب التعريض في الكلام عند ذكر لفظ "المستعمر"، لكن يدلّ على هذا التعريض مقدمة المقال، حيث قال: "إن بناء يقوم على الظلم هباء، وإن ارتقاء على جماجم القتلى لا يقال له ارتقاء، وإن ملكا يجمع من السلب والنهب واللصوصية ليس له بقاء"[59].

ثم ذكر الشيخ بعض الآيات القرآنية التي بينت مصارع الظالمين وعواقب الطغاة السيئة، فذكرت ظلمهم ومساوئهم، ثم عواقبهم ومصائرهم، بانقراضهم وخرابهم وتذهب ريهم: ﴿**فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ**﴾ [الأحقاف:25] ﴿**فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا**﴾ [النمل:52]. ..

واستغل الشيخ مضمون هذه الآيات ليبين للمستعمر عاقبة الظلم، ويواسي المظلومين المقهورين، فقال: "فلا يفرح الظالمون ولا تطمئن بهم المضاجع ولا تقرأ عينهم بما استولوا عليه

[57] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص119).
[58] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص119).
[59] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص137).

بالسلب والنهب وسفك الدماء، فإنهم إلى تباب، وإن ملكهم إلى زوال و﴿**إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ**﴾. وإن النعمة تدوم مع الكفر ولا تدوم مع الظلم كما يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فكيف إذا أجتمع كفر وظلم، ولا يستبد الأسى والجزع بالمظلومين، ولا تذهب نفوسهم حسرات فإن الله لابد- إن ثبتوا وصبروا - ناصرهم ومؤيدهم ومستجيب دعائهم"[60].

ثم استغل الشيخ هذه الكلمة ليوجه رسالة إلى إخوانه المغاربة يحثهم فيها على الصبر والثبات على ظلم المستعمر، والدعاء لهم بالنصر والتحرر، فقال: "وإننا بهذه المناسبة لنذكِّر إخواننا المغاربة الذين يبتلون في سبيل حريتهم واستقلالهم، ويبدون من الصبر والثبات والشجاعة ما هو جدير بأمثالهم، ولا يسعنا إلا أن نعلن تضامننا معهم ونضم أصواتنا إلى أصواتهم ونرفع احتجاجنا ضد أعدائهم، ونسأل الله أن ينصرهم ويثبت أقدامهم ويكلل بالنجاح أعمالهم، ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ**﴾[إبراهيم:42] ﴿**وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ و﴿**لَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾[البقرة:193]"[61].

فالشيخ هنا بيّن الظلم الذي يتعرض له شعبه من المستعمر الفرنسي التي عاث في البلاد قتلا وسلبا ونهبا في محاولة منه لربط أحوال واقعه بالآيات القرآنية التي تحكي عاقبة الظالمين.

ثالثا: دعوة أهل زمانه إلى التصدي لمخططات المستعمر الفرنسي

أرشد الشيخ أمته إلى أن قدوتنا هو محمد ﷺ الأسوة الحسنة، وعلينا أن نتأسى ونقتدي به في سيرته وأعماله، وذلك عند تفسيره قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾[الأحزاب:21].

وبعد بيانه لمقتضيات الاقتداء برسول اللهﷺ، أشار إلى خطر العُشُوّ عنها، ثم أسقط ذلك عن واقعه، فقال: "والتي منذ عشونا عنها-أي عند الاقتداء برسول اللهﷺ ونحن في ظلمات بعضها فوق بعض والتائه في الظلمات يمد يده إلى كل من يأخذ بيده ولو لم يعلم إلى أي هاوية يسير به، وذلك ما وقع لنا فبينما نحن في متاهتنا إذ مدَّ إلينا شيطان الاستعمار الأوربي يده المضللة لا ليخرجنا من الظلمات إلى النور، بل ليخرجنا إلى ظلمات أشد منها ظلاما، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿**وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾[الزخرف:36-37] وهذا الشيطان يوسوس لنا دائما بأن من الخير أن لا نلتفت إلى الماضي ويريد بذلك أن لا نعود إلى تاريخنا فنتأثر بتلك السيرة الملائكية ونهتدي بتلك الأنوار القدسية، وتكتمل حياتنا التهذيبية نقصها الفادح بذلك الجانب الأهم، جانب القدوة الحسنة، ولذلك نصبح خير خلف لخير سلف، فنسير سيرتهم ونأتي من أعمال الخير والفتح والعمران ما كرسوا له حياتهم، وفي ذلك كله تبديد ظلامه وظلمه، والقضاء على سلطانه وحكمه.

لذلك فلا أقض لمضجع الاستعمار من أن يرى الأمة التي أنشب فيها مخالبه وأخضعها

---

[60] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص138).

[61] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص138).

لحكمه، تقبل على تاريخ أسلافها تستظهر صفحاته لنقتبس منه الشعاع الهادي وتأخذ منه الحكمة البليغة والعظة البالغة، وتستمليه دروس الوطنية الصادقة وأمثلة البطولة العالية، إن القدوة الحسنة هي التي تنشىء البيئة الصالحة وإن الله إذ يأمرنا بالدعوة"[62].

وفي هذا التنزيل بيّن الشيخ عُشوّنا عن الاقتداء برسول الله ﷺ واتباع سنته، الأمر الذي ترك يد المستعمر تمتد إلينا، وأشار إلى أنه لا سبيل لقض مضجع المستعمر إلاّ بالرجوع والتأسي بما كان عليه سلفنا.

رابعا: دعوة الأمّة الجزائرية للجهاد في سبيل الله ضد المستعمر

عند كلام الشيخ عن التجارة الرابحة استدل بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ**﴾[الصف:10-13] وبعد تفسيره لهذه الآيات حاول أن يسقطها على واقعه فقال: "-إذن- فمدار الأمر على هذه التجارة، إذ فيها ربح الدنيا والآخرة، ورضى الله والناس **والنصر القريب على العدو الداخلي وهو النفس، والعدو الخارجي، وهو المستعمر** فانصر الله ينصرك وتاجر مع الله يربحك"[63].

ربط الشيخ بين مضمون الآيات وواقع أهل زمانه، لشحذ همّة شباب أمته للجهاد في سبيل الله من أجل إخراج المستعمر ونيل الاستقلال.

خامسا: بيان مصارع الطغاة ومصائر الظلمة من المستعمرين وأذنابهم

أشار الشيخ إلى أن القسم القصصي من القرآن يكاد يتلخص في تصوير مصارع الطغاة ومصائر الظلمة، ثم مثل لذلك بمصرع فرعون واستدل بقوله تعالى: ﴿**فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا**﴾[الإسراء:103] ومصرع قارون: ﴿**فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ**﴾[القصص:81] ومصرع مدينة سبأ: ﴿**لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ* ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ**﴾ [سبأ:15-17] ومصرع قوم نوح: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ**﴾[العنكبوت:14].

ثم قام بتنزيل ذلك على واقعه وبيان عاقبة الظالمين، فقال: "وهكذا كل طاغية تتحكم فيه الأنانية ويعميه الغرور فيتحدى الخلق والخالق لا بد أن يلقي مصرعه على نحو من الأنحاء وعلى صورة من الصور: ﴿**فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا**

[62] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص189).

[63] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص216).

﴿أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[العنكبوت:40]، والعبرة التي نستخلصها من مصارع الطغاة ومصائر الظلمة هي أن الأقوياء يجب أن لا يغتروا وأن الضعفاء يجب أن لا يقنطوا فإن لهذا العالم حارسا من عناية الله وكافلا من رعايته وتدبيره فلا يتركه تعبث به أيدي المفسدين وتتحكم فيه شهوات الظالمين المستبدين"[64].

هذا الإسقاط بيّن فيه الشيخ مصارع الطغاة والظالمين؛ وكلامه هنا يقصد به المستعمر الغاشم الذي طغى وتجبر؛ إلا أنه وكما ذكرنا في معالم منهج الشيخ استخدم أسلوب التعريض والتلميح خوفا من بطشه.

الفرع الثالث: التنزيلات الاجتماعية والسّلوكية

حاول الشيخ من خلال التنزيلات الاجتماعية للنصوص القرآنية إصلاح حال أمته الاجتماعي، من خلال التصدي لبعض الأعراف والتقاليد الفاسدة التي انتشرت في زمانه، ومن الأمثلة على ذلك:

أولا: حثّ أهل زمانه إلى الإنفاق في سبيل الله وصرفها فيما ينفع الأمة

بين الشيخ رحمه الله أهمية إنفاق المال فيما ينفع هذه الأمة ويصلح شأنها ويرفع كيانها، وحذر من الشّح والإسراف من خلال تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ**﴾ [النور:33] وقوله: ﴿**وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ**﴾[الحديد:7].

ثم استغل الشيخ هذه المناسبة ليسقط هذين الآيتين لمعالجة واقع أهل زمانه الذي انتشر فيه شح الأغنياء وأرباب الأموال على الإنفاق في سبيل الله وكثر الفقر والجريمة، فقال: "ولكن أرباب المال حسبوا أنفسهم أربابا للمال، ولم يفهموا أن المال مال الله وهم خلفاؤه عليه، ومن هنا تبدأ العقدة فهم إذ حسبوا أن المال مالهم ضربوا دونه الأسداد وشحوا به على المحتاجين والفقراء من إخوانهم ثم أطلقوا فيه أيديهم يبعثرونه في شهواتهم وملذاتهم فجمعوا بين رذيلتي الشح والإسراف وتسابقوا إلى إسخاط الله وإسخاط إخوانهم الفقراء الذين فرض الله حقوقهم في هذه الأموال، وأصبحت هذه الأموال تصرف في كل شيء إلا فيما ينفع هذه الأمة ويصلح شأنها ويحفظ كيانها""[65].

ثم بين أن الأغنياء هم الأعداء الحقيقيون لهذه الأمة الذين جمعوا أموالهم منها ثم بخلوا بها عنها فقال: "وإذا كان للأمة أعداء حقيقيون فهم أغنياؤها الذين جمعوا أموالهم منها ثم بخلوا بها عنها، والمال جعله الله وقود الأعمال فإذا شح الناس بالمال تعطلت الأعمال وصاحب هذه الجريمة والمسئول عنها هم أغنياؤنا (المحترمون) الذين لا يشعرون إلا بأنفسهم ولا يحترمون إلا شهواتهم ولا يحتفلون بالأمة التي أغنتهم فأفقروها وسمنتهم فأهزلوها، حاشا فئة منهم عرفت ما لها وما عليها وتغلبت على أنانيتها وأشركت إخوانها في ماليتها فظهر عليها فضل الله ونعمته وكافأها بمحبة الخلق في الدنيا وبخلود الذكر على الألسنة، والقلوب..."[66].

---

[64] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص66).

[65] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص28).

[66] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص28).

فالشيخ رحمه الله حاول من خلال تفسير الآيتين معالجة ظاهرة الفقر التي انتشرت في زمانه عن طريق تذكير الفقراء إلى ضرورة الإنفاق على الأغنياء وعلى ما ينفع الأمة ويرفع كيانها، وذكرهم بأن المال مال الله، وأنّ الله جعلهم مستخلفين فيه.

ثانيا: دعوة أهل زمانه إلى توطيد روابط الأخوة الإسلامية حتى يعود للأمّة مجدها

من خلال تفسير قوله تعالى : ﴿**وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**﴾ [آل عمران:103]، وقوله ﴿**الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ** ﴾[الحديد:7]، وقوله: ﴿**لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ**﴾[الأنفال:63] بيّن الشيخ أن الإسلام نجح في توحيد المسلمين، لأنه وحّد قلوبهم برباط الأخوة الإسلامية التي أقام أساسها على صخرة صلبه، وهي تقوى الله، والحب في الله.

ثم نزّل الشيخ مضمون هذه الآيات على واقع أهل زمانه الذين تبددت فيهم أخوة الإسلام، وخلفتها أخوة المصالح والأغراض، فقال: "إن هذه الأخوة- أخوة الروح لا الجسد، وأخوة الدين لا الدنيا، وأخوة في الله، لا في المصلحة- التي ربط الإسلام بها ما بين القلوب- لو بقيت للمسلمين لبقي لهم كيانهم وسلطانهم، ولكن هذه الأخوة تبدد شملها، ودالت دولتها، وخلفتها أخوة المصالح والأغراض، وأخوة الكاسات والخليلات"[67].

وخلص الشيخ في الأخير لدعوة أمته لتوطيد روابط الأخوة الإسلامية بين أفرادها، حتى يجمع الله شملها ويوحد كلمتها، ويعود لها مجدها وعزتها بين الأمم.

فالشيخ رحمه الله وُفق في استثمار مضمون هذه الآيات وإسقاطه على واقع أمته ومعالجته من خلال الدعوة إلى تحقيق روابط أخوة الدين لا الدنيا قبل الدعوة إلى توحيد الكلمة.

ثالثا: دعوة أمته لوجوب المحافظة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

تناول الشيخ رحمه الله في هذا المقال أحد الدعامات التي حفظ الله بها هذا الدين وقام عليها بناؤه المتين؛ ألا وهي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبين أن خيرية هذه الأمة تكمن في وجوب القيام بهذا الواجب، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾[آل عمران:110].

وبعد تفسير الشيخ للآية وبيان أن شرف هذه الأمة وفضلها في المحافظة على واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قام بتنزيل معناها على واقعه فقال: "إذن- فشرف هذه الأمة وفضلها على الأمم قائم على بقاء هذا الدين في العمل به والدعوة إليه، **ولكن المسلمين اليوم لم يعملوا بدينهم فضلا عن أن يدعوا إليه**، ومن ثم خرجوا من فردوس السعادة الذي كانوا فيه، وحكم الله فيهم من كانوا تحت حكمهم، وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم، وغضب عليهم فلم يقبل دعاءهم وكفى بهذا عقابا لهم وحق عليهم بذلك قوله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا**

[67] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص303).

يستجاب لكم»[68].

وأسفاه على هذه الأمة! اختار الله لها خير وظيفة في الدنيا، وهي وظيفة الأنبياء، وهي الدعوة العامة إلى الخير العام، فلم تعرف قيمة ما بيدها، ولم تجعل من كفاح نبيها في هذا الميدان خير قدوتها، وكتابها يستصرخها بقوله: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ [الأحزاب:21] ولكن كيف تقتدي بنبيهاﷺ وهي لا تلتفت إلى تاريخه...."[69].

نجد أن الشيخ هنا حاول توظيف هذه الآية لدعوة أهل زمانه للعمل بهذا الدين والدعوة إليه، وإلى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

رابعا: دعوة أهل زمانه للمحافظة على حقوق المرأة وحسن معاشرتها

تناول الشيخ في هذا المقال الدعوة إلى حسن مصاحبة الأم، واستدل بقوله تعالى: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾[النساء:19]، ثم حاول إسقاط هذه الآية على واقع أمته التي انتشر فيه هضم حقوق المرأة والانتقاص من شأنها فقال: "وليتأمل القارئ جيدا قوله: ﴿**فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ**﴾ الآية، فإن فيه قطع الطريق عن أعذار المعتذرين لهضم حقوق المرأة وإساءة عشرتها، بدافع نفور الطبع، فربما جعل الله فيما نكره ما نحب ونحن لا نعلم، فلا نغتر بتمويه الطبع"[70].

يبدو من خلال هذا الربط للآيات بالواقع أن هضم حقوق المرأة وإساءة عشرتها، كان له انتشار كبير في زمانه، لذا نجد أن الشيخ تصدى لمثل هذه الظواهر الاجتماعية وحاربها.

خامسا: دعوة أهل زمانه إلى إصلاح ذات البين والتحذير من الخلاف والتفرق

تناول الشيخ في هذا المقال الدعوة إلى إصلاح ذات البين، وإزالة كل أشكال الخلاف بين المسلمين، حتى تكون قلوبنا مجتمعة متحدة، وأن ديننا حذرنا من نكون من المنافقين الذين قال الله في حقهم: ﴿**تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى**﴾، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ**﴾، وقوله: ﴿**فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ**﴾ **[النساء:59]**.

ثم حذر الشيخ على ضوء ما تضمنته هاتين الآيتين أمته من المفتنين الذين يستغلون ما يحدث بين المسلمين من خلاف لزرع نار الفتنة والتفرق، فقال: "ولكن فينا شياطين يصدون عن الدين، وإن فينا مفرقين يستغلون ما يحدث من خلاف بين المسلمين فيوغرون صدورهم ويوقدون نار الفتنة بينهم بما ينفثون من سموم السعاية وما يبثون من جراثيم الوشاية لا يخافون في الشرّ لومة لائم رضوا بأن يكونوا قناطر للشر ومعابر للفتنة كما رضوا لأنفسهم بهذه السفارة الرخيصة سفارة الجراثيم في نقل الأمراض فرق بينهم وبينها إلا أن الجراثيم تسمم

---

[68] أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم الحديث: 2169، (268/4)، وقال الترمذي: حديث حسن.

[69] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص185).

[70] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص265).

الأبدان وهؤلاء يسممون القلوب التي لا صلاح للأبدان إذا فسدت"[71].

ويواصل الشيخ توصيفه للواقع بأن المسلم إذا قام بوظيفة الإفساد بين إخوانه، فماذا أبقى للشيطان الذي يسعى لإشقاء بني آدم، وماذا أبقى للمستعر المتخصص في غرس شجرة الخلاف الملعونة، فقال: "وإذا قام المسلم بهذه الوظيفة الوضيعة فما الذي أبقى للشيطان الذي يجعل الخلاف وسيلته الكبرى لإشقاء بنى آدم في العاجل والآجل، وماذا أبقى للمستعمر الأستاذ الأكبر المتخصص في غرس شجرة الخلاف الملعونة وتنميتها وتموين الفتنة وتغذيتها على أنه إذا كان في مجتمعنا دعاة للشر والفتنة فإن فيه كذلك دعاة للخير والألفة وكلا الفريقين معروف بأعماله، فلتعرف الأمة ذلك ولتعمل به، وإذا لم يعظها شيء فلتتعظ بما يقع في مجتمعها من خصومات أودت بوحدتها وفتكت بماليتها..."[72].

يظهر من هذا الإسقاط ربط الشيخ بين دعاة الخير والألفة، والمخالفين لهم وهم دعاة الشر والفتنة، وعلى رأسهم شيطان المستعمر، منبها أمته للتفريق بين الفريقين.

سادسا: دعوة المسلمين إلى التحلي بالآداب والأخلاق الفاضلة

أشار الشيخ إلى هدي القرآن في دعوة المسلمين إلى التحلي بالأخلاق الفاضلة، إذ يقول: ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾[فصلت:34] ثم أسقط هذه الآية على واقعه فقال: "وإذا كانت الكلمة اللينة والصدر الرحب من خير أدوات الدعوات بحيث تجعل العدو صديقا كما تشير إليه الآية، فبعكس ذلك تكون الكلمة الجافية والصدر الضيق من شر أسباب النفور بحيث يجعلان الصديق عدوا، وهذا ما آل إليه حال المسلمين بعد أن انحرفوا عن منهج القرآن وأدب الإسلام ..."[73].

بيّن الشيخ من خلال هذا التنزيل على الواقع ما آل إليه حال المسلمين في زمانه من ضعف وهوان، من جراء بعدهم عن منهج القرآن وآداب الإسلام .

سابعا: دعوة أمته للتعلم وعدم الاكتفاء بالمظاهر الكاذبة

أشار الشيخ إلى أن القرآن حذر من الاغترار بالمظاهر الخداعة، فقال: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ**﴾، ثم أسقط هذه الآية على واقعه فقال: " ما شاء الله! إنها لصورة طبق الأصل لطبقة كبيرة في المجتمع، يخدعك مظهرها اللماع المتبجح عما يخفي وراءه من تفاهة وحقارة وزيف، طبقة تعيش على حساب المجتمع- ما دام لم يبلغ رشده ويعمق تفكيره- بهذا المظهر الخادع الذي يغري السذج والبسطاء، كما يغري الظامئ الضارب في البيداء، ... إنها لصورة رائعة من صور القرآن تهيب بالناس أن يتعلموا ولا يكتفوا بالمظاهر الكاذبة التي لا يطول أمدها إذ سرعان ما يفضحها الواقع"[74].

---

[71] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص125).
[72] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص125).
[73] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص45).
[74] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص45).

ثامنا: الحسرة على واقع أمته وعرض نماذج من عباد الله للتأسي والاقتداء بهم

ذكر الشيخ في هذا المقال نماذج حية من عباد الله، الذين وصفهم القرآن بقوله: ﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[السجدة:16-17]، وبقوله: ﴿**كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾؛ وبقوله: ﴿**وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا**﴾[الذاريات: 17-18].

وبعد ذكره لهذه الآيات حاول إسقاطها على واقع أهل زمانه فقال: "وقلت: **أين هؤلاء اليوم**؟ وكيف اختفوا جميعا فلم تقع العين على واحد منهم؟ .. فطفرت دمعة أخرى من عيني، على غير شعور مني، إذ علمت أن هذا العصر المادي قد أجدب من أمثال هؤلاء، ولم يبق إلا من يبيتون نياما، لا قياما، وأمواتا لا أحياء ..."[75].

يظهر من خلال هذا الاسقاط حسرة الشيخ الشديدة على بعد أهل زمانه عن التعبد والتقرب إلى الله بالطاعات والعبادات، وانشغالهم بالدنيا وشهواتها.

تاسعا: مقارنة بين أوصاف عباد الرحمن وما عليه أهل زمانه

ضمن حلقات أصدرها الشيخ أحمد سحنون في جريدة البصائر تحت مسمّى: "على مائدة القرآن" عقد فيها مقارنة بين عباد الرحمن وبين ما عليه أهل زمانه، من أجل أخذ العبرة والتأسي بهم والسير على خطاهم، ومن ذلك:

- أن الشيخ أشار إلى أن القرآن وصف عباد الرحمان بالمشيّ على الأرض هوناً فقال: ﴿**يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا**﴾[الفرقان:73]، ثم أسقط هذه الآية على أهل زمانه فقال: "ونحن قلما نمشي هونا، لأننا نمشي مسوقين بدوافع من دنيانا ومقودين بجواذب من هوانا، وما أحكم الإسلام، إذ يلحظ سلوكنا حتى في مشيتنا لنعطي للأمم المثل الأعلى في كل شيء..."[76].
- وأشار إلى أن القرآن وصف عباد الرحمان بالرشد والكياسة وحسن التصرف بقوله: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا**﴾[الفرقان:67]، ثم أسقط هذه الآية على واقعه فقال: " أما نحن فما أبعد الرشد وحسن التصرف منا فنحن- إذ ننفق- إما مسرفون أو مقترون، وكلا الأمرين ذميم"[77].
- وذكر الشيخ أن القرآن وصف عباد الرحمان بالطموح إلى معالي الأمور في الدنيا والدين، إذ يقول: ﴿**وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**﴾[الفرقان:74]، ثم نزّل هذه الآية على أهل زمانه، فقال: "ونحن قد رضينا بالدون في الدنيا والدين"[78].
- وأن القرآن وصف عبد الرحمان بأن لهم قلوبا رقيقة تتأثر بكلام الله وتعتبر بآيات الله إذ

---

[75] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص260).
[76] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص92).
[77] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص93).
[78] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص94).

يقول: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾[الفرقان:73]، ثم أسقط هذه الآية على أهل زمانه فقال: "ونحن على النقيض من ذلك تماما قد قست قلوبنا ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[البقرة:74]"[79].

ليخلص الشيخ في الأخير إلى خلاصة هذه المقارنة، حيث قال: "الحق أننا في واد وعباد الرحمن الذين وصفهم القرآن في واد، لأننا في واد، والقرآن في واد، حتى كأننا موكلون بمخالفة القرآن، فإذا أردنا أن نكون من عباد الرحمن، فلنتأدب بآداب"[80].

وقد وفق الشيخ أيما توفيق في تنزيل آيات صفات عباد الرحمن المضمّنة في الآيات القرآنية وبين ما عليه أهل زمانه، وذلك ليكون حافزا لهم للسير على منهاجهم والتخلق بأخلاقهم ولنأخذ منهم العبرة.

المطلب الثاني: ضوابط تنزيل الآيات على الواقع عند الشيخ أحمد سحنون

نجد أن الشيخ أحمد سحنون وقف موقفا متوازنا من إسقاط الآيات القرآنية على الواقع، ويظهر ذلك من خلال الضوابط التي التزم بها في التنزيلات التي سبق بيانها، والتي يمكن حصرها في النقاط الآتية:

الفرع الأول: الموضوعية والتجرد عند تنزيل الآيات على واقعه

ومعنى هذا الضابط أن يتجرد المجتهد من كل المقررات السابقة (الأفكار ، المذاهب، النظريات ، التصورات، ....) أثناء فهمه للنص وتنزيله غلى واقعه، وفي هذا يقول المودودي في كتابه المبادئ الأساسية لفهم القرآن تحت عنوان: منهج لدراسة القرآن: "يجب كخطوة أولى على من يريد فهم القرآن، سواء آمن به أو لم يومن أن يُخلي ذهنه ما أمكن من جميع ما استقر فيه من قبل من التصورات والنظريات، ويُطهره من سائر ما يُكنّه من الرغبات الموالية أو المناوئة، ثم يكب على دراسته بقلب مفتوح وأُذن واعية وقصد نزيه لفهمه، أما الذين يدرسونه واضعين طائفة من التصورات في أذهانهم مقدماً، فما يقرؤون بين دفتيه إلاّ تصوراتهم أنفسهم، ولا يجدون شيئا من رائحة القرآن، ولا يصلح هذا المنهج لدراسة إي كتاب من الكتب، فكيف بالقرآن الذي لا يفتح كنوز معانيه أبدا للذين يدرسونه باتباع مثل هذا المنهج"[81].

والمتأمل في كتابات الشيخ أحمد سحنون وتنزيلاته للآيات القرآنية على الواقع يلمس تجرده في الفهم والاستنباط والإسقاط على الواقع.

الفرع الثاني: التزام الشيخ النظرة المتكاملة في النص الشرعي

من المقرر أن العالم إذا أراد النظر في قضية ما، يقوم بجمع كل النصوص التي وردت متحدثة حول هذه القضية، بما في ذلك الأحاديث النبوية التي تُعين على فهم الآيات القرآنية، أما إذا اقتصر في النظر على بعض النصوص القرآنية دون بعض فإن نظرته للقضية تكون قاصرة، كما قال الإمام الشاطبي: "... فإن القضية وإن اشتملت على جمل؛ فبعضها متعلق بالبعض لأنها قضية واحدة نازلة

---

[79] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص94).

[80] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص94).

[81] المودودي، المبادئ الأساسية لفهم القرآن، (ص26-27).

في شيء واحد، فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره، وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف، فإن فرق النظر في أجزائه؛ فلا يتوصل به إلى مراده، فلا يصح الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض، ..."[82].

فالشيخ أحمد سحنون رحمه الله كان إذا تناول قضية من القضايا، فإنه يجمع لها كل النصوص الواردة فيها، وفي بعض الأحيان يلجأ إلى الأحاديث النبويه التي تُعينه على فهم الآيات القرآنية الواردة في هذه القضية، ومن الأمثلة على ذلك : قضية إنكار البعث والجزاء التي ظهرت في زمانه، والتي حاول الشيخ تفنيدها والردّ عليها، من خلال جمع الآيات التي تتعلق بهذه القضية، ومنها:

قوله تعالى: ﴿**أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى**﴾[القيامة: 36-40].

وقوله: ﴿**فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٍ**﴾[الطارق:5-8] .

ثم لجأ إلى السنة النبوية للاستعانة بها في فهم الآيات القرآنية، ومنها بيان سبب نزول قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ ...**﴾[يس:77-79]، فقال: "وروي أن العاص بن وائل أخذ عظماً رميماً ففته وقال للنبي ﷺ: أترى يحي الله هذا بعدما بلى ورم؟ فقالﷺ: نعم ويدخلك النار، ونزل فيه قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**﴾[يس:77-79]، وهذه كلها أدلة قوية على أن من خلق الخلق قادر على أن يعيدهم ﴿**كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ**﴾"[83]

ثم بعد هذا العرض للأدلة التي تُثبت البعث والجزاء من الكتاب والسنة، انتقل إلى تنزيلها على واقع أهل زمانه، فقال: " لذلك لا يخلو زمان ولا مكان من منكرين للبعث والجزاء ولا سيما هذا العصر المادي الذي لا يؤمن أهله إلا بكل مادي محسوس ولقد رأينا كثيرا من المسلمين اليوم جرفهم هذا التيار، تيار الإنكار لعالم الغيب وعدم الإيمان بغير المادي المحسوس من الأشياء، ولاسيما من تثقف ثقافة غربية"[84].

والأمثلة على ذلك كثيرة[85] لا يسع المجال لذكرها مراعاة لحجم البحث.

الفرع الثالث: إحاطة الشيخ أحمد سحنون وفهمه الدقيق لواقعه

كما هو معلوم فإن فقه الواقع واجب للعالم، قبل البت في الحوادث والنوازل التي تطرأ في حياة الناس؛ كما أشار إلى ذلك الإمام ابن القيم بقوله: "ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى

---

[82] الشاطبي، الموافقات، (266/4).

[83] أحمد سحنون، دراسات وتوجهات إسلامية، (ص70).

[84] أحمد سحنون، دراسات وتوجهات إسلامية، (ص71).

[85] يُنظر مثلا: الأدلة الواردة في: قضية وجوب المسارعة للتوبة، ص 72-73، ...

والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم: أحدهما: فهم الواقع والفقه فيه واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات حتى يحيط به علما..."[86]، وتبرز أهميته الفهم الدقيق للواقع في كونه يُعد البوابة التي يلج منها العلماء إلى استنباط الحكم.

والقرائن والأمارات التي أوردها الشيخ في تنزيلاته للواقع والتي سبق ذكرها كافية لبيان الفهم الدقيق للشيخ لواقع أهل زمانه، ولمخططات المستعمر الغاشم، ومن الأمثلة على ذلك: تعجبه للانتشار المذهل للرسالة المنسوبة للشيخ أحمد خادم القبر الشريف بين أفراد المجتمع، خلال هذه الفترة الحاسمة من تاريخ الأمة، ثم بيّن الغرض الحقيقي من هذا الانتشار، فقال: " ... وإنما راجت بصفة مدهشة، في هذه الفترة الحاسمة من حياة هذه الأمة، لغرض آخر جديد غير غرض (الشيخ أحمد) وأكبر منه، غرض تعين على فهمه وتفسيره الحالة الحاضرة، **لعله يراد به صرف تفكير الأمة عما يسبب القلق لمستغليها وتخدير شعورها**، فتخلد إلى الدعة، والسكون، وذلك ما لا يكون...."[87]، وهذا فيه دليل على الفهم الدقيق للشيخ لواقعه.

الفرع الثالث: الانطباق التام لتنزيلات الشيخ أحمد سحنون على الواقع

المتأمل في تنزيلات الشيخ أحمد سحنون على واقع أهل زمانه، يلاحظ الانطباق التام لمضمون الآيات على القضايا والنوازل التي وقع عليها الإسقاط؛ بل نجد أن الشيخ يصرح في كثير من الأحيان على هذا التطابق، ومن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ**﴾، حيث قال: "ما شاء الله! إنها لصورة طبق الأصل –أي معنى الآية- لطبقة كبيرة في المجتمع..."[88].

الفرع الرابع: تكييف الشيخ أحد سحنون للواقع شرعا

ونقصد بتكييف الشيخ للواقع شرعا، مدى موافقة أحكامه التي أسقطها على الواقع للكتاب والسنة، لأن الموافقة شرط من شروط تنزيل الحكم على الواقع، كما أشار إلى ذلك الإمام ابن القيم بقوله: ""ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم: .... والنوع الثاني: فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان قوله في هذا الواقع، ثم يطبق أحدهما على الآخر..."[89].

والمتأمل في إسقاطات الشيخ أحمد سحنون على واقع أهل زمانه والتي سبق الإشارة إليها، يلاحظ أن الشيخ لم يخرج على ما حكم به علماء أهل زمانه في جلّ القضايا التي تعرض إليها؛ كالإمام عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي، ... ، ومن الأمثلة على ذلك:

- وافق رده على منكري البعث والجزاء، ردّ الإمامين: عبد الحميد بن باديس[90]؛ والبشير الإبراهيمي[91].

---

[86] ابن القيم، أعلام الموقعين، (69/1)

[87] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص87).

[88] أحمد سحنون، دراسات وتوجيهات إسلامية، (ص89)

[89] ابن القيم، أعلام الموقعين، (69/1)

[90] ابن باديس، آثار ابن باديس، (85/2)

[91] البشير الإبراهيمي، آثار الأمام محمد البشير الإبراهيمي، (349/2)

• وكذا عند رده على الداعين للإلحاد، فقد وافق ردّه ما ذكره الإمام عبد الحميد بن باديس[92] والبشير الإبراهيمي[93] بصورة تكاد تكون حرفيه....

والأمثلة الدالة على موافقة الشيخ لمن سبقه من أهل العلم في الحكم على القضايا والحوادث التي تطرأ على حياة الناس كثيرة لا يسع المجال لذكرها أو التفصيل فيها.

خاتمة

في الختام يمكن الخروج بأهم النتائج والتوصيات التي تمّ التوصّل إليها من خلال:

أولا: من أهم النتائج:

• لقد كان للتكوين العلمي للشيخ أحمد سحنون بداية من حفظه للقرآن في سن مبكرة، وشيوخه، ومؤلفاته، الأثر الكبير في تميزه في تنزيل الآيات القرآنية على واقعه.

• عناية الشيخ أحمد سحنون –كعادة علماء جمعية العلماء المسلمين- بتنزيل الآيات على الواقع، ومحاولة مقارنة القضايا والحوادث الحادثة في زمانه، بما يناسبها من آيات القرآن.

• للشيخ أحمد سحنون أسلوب مميز في تنزيل الآيات على الواقع، جمع فيه بين التصريح المباشر أحيانا، والتصريح غير المباشر أحيانا أُخرى.

• يذهب الشيخ إلى أن العبرة في تنزيل الآيات القرآنية على الواقع بعموم اللفظ الذي جاءت به الآية لا بخصوص السبب الذي نزلت من أجله.

• اتخذ الشيخ أحمد سحنون من ربط الآيات على واقعه، أداة لحث الناس للرجوع للقرآن والاغتراف من معينه الصافي، وإصلاح أحوال مجتمعه.

• تنوعت مجالات إسقاط الآيات على الواقع عند الشيخ أحمد سحنون، بين: المجال العقدي والتعبدي، المجال السياسي والفكري، والمجال الاجتماعي والسلوكي؛ إلاّ أن المجال الأول هو الذي غلب على إسقاطات الشيخ.

• تميّز منهج الشيخ أحمد سحنون في إسقاطه للآيات القرآنية على الواقع، بسهولة أسلوبه وبعده عن التكلف والتعقيد.

• التزم الشيخ أحمد سحنون الأمثلة التي ورد ذكرها في البحث، تُبين بوضوح الضوابط التي التزم بها الشيخ أحمد سحنون في تنزيلاته للآيات القرآنية على الواقع.

ثانيا: من أهم التوصيات

• دعوة الباحثين للعناية بجمع مقالات الشيخ أحمد سحنون في مختلف الجرائد والمجلات، وإخراجها في كتاب واحد حتى يستفيد منها طلبة العلم.

• الدعوة إلى جمع تنزيلات الشيخ أحمد سحنون من مختلف الصحف والمجلات ودراستها.

• دعوة الأساتذة والباحثين للعناية بتنزيل الآيات على الواقع عند مفسري الغرب الإسلامي، كمذكرات ماستر ودكتوراه.

---

[92] ابن باديس، آثار ابن باديس، (127/3)

[93] البشير الإبراهيمي، آثار الأمام محمد البشير الإبراهيمي، (271/2)

وصلى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم، مصحف المكتبة الشاملة الذهبية، إصدار رجب 1443هـ.

- إبراهيم بن موسى الشاطبي، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، تقديم: بكر بن عبد الله أبوزيد، دار ابن عفان، ط1، 1417هـ-1997م.
- الإبراهيمي، آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي، جمع وتقديم: نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997م.
- ابن باديس، آثَارُ ابْنُ بَادِيسَ، المحقق: عمار طالبي، مكتبة الشركة الجزائرية ط1، 1968م.
- ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، المحقق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ-1991م.
- أبو الأعلى المودودي، المبادئ الأساسية لفهم القرآن، دار التراث العربي، دط، دت.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار البصائر، الجزائر، طبعة خاصة، 2007م.
- أحمد سحنون، تأبين شيخي العظيم الإمام محمد خير الدين، مجلة الموافقات، الجزائر، العدد:3، 1994م.
- بن سلامة الربعي، موسوعة الشعر الجزائري ، دار الهدى، الجزائر، 2002م.
- الترمذي، سنن الترمذي، المحقق: أحمد محمد شاكر (ج1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج4، 5)، مكتبة الحلبي – مصر، ط2، 1395هـ - 1975م.
- دراسات وتوجيهات إسلامية، أحمد سحنون، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1992م.
- رابح خدوسي ومن معه، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، منشورات الحضارة، الجزائر، طبعة 2014م.
- الطبراني، المعجم الكبير، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط2.
- عبد العزيز الضامر، تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين –دراسة وتطبيق- ط1، 2007م.
- العلّامة الطّاهر آيت علجت يتحدّث عن أخيه العلامة أحمد سحنون، عمار رقبة الشرفي، موقع المكتبة الشاملة الجزائرية، الاطلاع:10-09-2022م، الساعة:22:29، الرابط: https://shamela-dz.net/?p=158
- محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، المحقق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة، دمشق، ط5، 1414هـ-1993م.
- محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2006م.
- مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، المحقق: أحمد بن رفعت بن عثمان حلمي القره حصاري، محمد عزت بن عثمان الزعفران بوليوي، أبو نعمة الله محمد شكري بن حسن الأنقروي، دار الطباعة العامرة، تركيا، 1334هـ.
- الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، 1420هـ.